

## المنحى البلاغي في الرسالة الشافية للجرجاني

أ.د. فيصل سلمان مناحي

الجامعة المستنصرية - كلية التربية - قسم اللغة العربية

[dr.faisal.s@uomustansiriyah.edu.iq](mailto:dr.faisal.s@uomustansiriyah.edu.iq)

07710789095

مستخلص البحث :

يتناول هذا البحث الاتجاهات البلاغية في الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني، التي حاول من خلالها، سبر أغوار شرف القرآن، وعلو منزلته في البيان، وأنه المعجزة التي لا تنقطع على مدى الدهور. ولما لهذه الرسالة من أهمية فائقة في موضع الإعجاز القرآني، فهي حلقة مهمة من سلسلة تنظيرات عبد القاهر الجرجاني التي استند عليها إلى مزايا النظم، والحجج العقلية لما إبرز من فيها من قوى إقناعية، ومنطق حجاجي، وكذلك إبطال القول بالصرفة التي ذهب إليها المعتزلة. يأتي البحث لإظهار ما في كلامه من اتجاهات بلاغية مؤثرة وركائز نظم يبلغ بها، مخاطبة العقول البشرية مخاطبةً سويةً، وأنتزاع حالة الشك وعدم اليقين.

الكلمات المفتاحية: إتجاه، الشافية، الحجج العقلية، الصرفة.

المقدمة:

ميدان البحث هو الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وهذه الرسالة مليئةً بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية والحكم والطرائف الأدبية والنكات البلاغية وما البحث الا محاولة في استقراء الاتجاه او المنحى البلاغي وفنونه البيانية والتركيبية والبديعية، وقد قسمت العمل لقسمين الأول نظري دار حول ما يتعلق بالصياغة البلاغية ونظم الكلام وبالرسالة، وموضعها ومؤلفها وسماتها وفوائد على هامشها والأخر هو الجانب التطبيقي الاستخراجي للبنى البلاغية تركيبياً وبيانياً وبديعياً، ومن ثم الخاتمة وأهم ما توصل إليه البحث وقد سلكتُ سبيل المنهج الاستقرائي والتحليلي عرضاً مرتباً.

المنحى البلاغي

هو الاتجاه أو الأسلوب الذي يسلكه المتكلم أو الكاتب في استعماله لوسائل البلاغة بصورة عامة مثل (التقديم والتأخير، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والفصل، والوصل، والمجاز والمحسنات البديعية...) وذلك من اجل التأثير في المتلقي وايصال المعنى بصورة أبلغ وأقوى. وهو الطريقة التي يُبنى بها الكلام من زاوية بلاغية هل في هذا النص منحى تشبيهي ام استعاري ام تركيبى أم يقوم على المحسنات اللفظية أو المعنوية. وعليه فالمنهج البلاغي اذن هو الوجه أو الجانب البلاغي الغالب على النص أو المقطع الأدبي. والنحو القصد والجهة تقول نحوته أنحوه نحواً اذا قصدته نحا ينحوا نحواً أي مال وقصد جهة فيقال نحا نحوه أي مال إليه وقصده، ويقال ايضاً نحا عنه أي مال وانصرف وأبتعد والنحو من هذا الأصل الجهة والواجهة اذن عند ابن منظور: الجذر (ن ح و) يدور معناه حول الميل الاتجاه، القصد (الأنصاري (ت711هـ)، 2011، صفحة 368 (نما))،

(الزمخشري، 2009، صفحة 836).

والصورة البلاغية هي أداة لتوصيل المعنى والربط ما بين المدلول اللغوي الشكلي والمدلول الخيالي المعنوي، يرسم علائقية وتزواج كبير بين الصورة الشكل.

الرسالة الشافية:

هي رسالة لعبد القاهر الجرجاني في الاعجاز القرآني، تعد مكملة لكتابه دلائل الاعجاز. وان تباينت آراء العلماء في أيهما وضع قبلاً: كتاب دلائل الاعجاز أم الرسالة الشافية؟

وقد تركزت على موضوعين اثنين: أولاً: إثبات عجز الناس عن تحدي القرآن لهم بأن يأتوا بمثله. وثانياً: إبطال القول بالصرفة التي أتى بها المعتزلة، إذ ذهبت طائفة إلى أن أعجاز القرآن كان بأن الله تعالى صرف العرب عن مجاراته، فاعجزهم عن الاستجابة للتحدي. وقد هدف عبد القاهر إلى دحر آراء الملاحدة النافين لإعجاز القرآن بالكلية، وقد خصص لهذا الهدف القسم الأول منها، مما يمكن الإشارة إليه تمتاز الشافية بالتركيز والتكثيف لبعض المعلومات التي احتواها كتاب دلائل الإعجاز؛ فالرسالة وحدها لا تكفي لفهم مفهومه للإعجاز القرآني مباشرة، إلا بعد الاطلاع على الكتاب، وأن الكتاب لا يمكن الاستغناء به عن الرسالة (حويث، 1972، صفحة 313).

وعودة على ذي بدء أيهما أقدم، يرى محمد أبو موسى أن الشيخ الجرجاني كتب الرسالة الشافية قبل كتاب دلائل الإعجاز، لأنه انتهى في هذه الرسالة إلى أن القرآن الكريم معجز بنظمه، فوقف عند هذا الحد دون أن يتحدث عن ضروب النظم، وترك ذلك ليتناوله في الدلائل

(محمد، 2006، صفحة 370).

أما الدكتور عمر ملا حويش والدكتور أحمد جمال العميري فلهما رأي آخر، إن الرسالة الشافية كتبت بعد كتاب دلائل الإعجاز مستنديين إلى أمور منها التسلسل الفكري والموضوعي للبحث في إعجاز القرآن الكريم، ومن ثم أنه في مصنفه دلائل الإعجاز أبرز وجوه الإعجاز القرآني فقط، ثم كان عليه أن يؤكد وقوع الإعجاز ذاته وإثباته بالبرهان والأدلة، فالف لذلك الرسالة الشافية، لتكون شافية كافية بتوضيح ما قصد منها، لذلك اشتق اسمها من مضمونها، وكذلك قولهم إن الرسالة تمتاز بالتركيز والاهتمام وهي عمل علمي وانها وحدها لا تكفي ولا تُظهر مفهوم الإعجاز إلا بعد الاطلاع أولاً على كتاب دلائل الإعجاز لأن كليهما عمل علمي يكمل بعضه بعض

(حويث، 1972، الصفحات 313-322).

والباحث يميل إلى رأي الشيخ محمد أبو موسى الذي ذهب إلى رايه ومساندة ما جاء به الدكتور محمد بركات أبو علي. لأن في الطبيعي ان يكون في البحث العلمي والفلسفي من يتصدر العمل هو الجانب التنظيري وليس الجانب التطبيقي العلمي وبهذا كانت الرسالة الشافية هي مقولات تنظيرية مكثفة ومضغوطة من كل جوانبها، وجاء الكتاب ليعرض وجوه الإعجاز عبر التطبيق والأمثلة واخذ مساحة كبيرة من الشرح والتعليل والبيان، لذا أجد أنها كتبت أولاً وما بعدها دلائل الإعجاز ولكن كلاهما ملاصق ومتعلق مع الآخر فمن الطبيعي ان نجدها ملحقة بالكتاب ومطبوعة معه لا منفصلة، إلا ما حصل، حين نشرت دار المعارف المصرية الرسالة الشافية ضمن مجموعة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني. كذلك انا قبل عشرين عاماً سألتُ اساتذتي في البلاغة في كلية الآداب، الجامعة المستنصرية الأستاذ الدكتور حسن يحيى الخفاجي والدكتور عبد الرحمن شهاب أحمد حول أول من كتب الرسالة أم الكتاب فكان رأيهما الرسالة كتبت أولاً لأن الوقائع والبحث العلمي يشيران إلى ذلك. مما لا شك فيه انها في المقدمة تحدثت أن لكل نوع من المعاني نوعاً من اللفظ هو به اخص وأولى وضروباً من العبارة هو بتأدية المعنى أقوم، ثم عرض في الفصل الأول لبعض الشبه، ومنها أنه كان بمقدور الشعراء العرب ممن سبق عهد النزول أو جاء بعده معارضة القرآن، وقد عرض عبد القاهر لها بالرد، وتحدث طويلاً عن الصرفة، وشبهات القائلين بها ثم وضع فصلاً فيه مجموعة من التساؤلات الموجهة بالصرفة والذين ينفون إعجاز القرآن.

اولاً: احصائيات الرسالة الشافية

التسلسل	اسم السورة	الآيات	الصفحة في الرسالة
1	سورة المدثر	(19، 18)	582
2	سورة فصلت	(4، 3، 2، 1)	583
3	سورة النحل	(90)	585
4	سورة الاسراء	(88)	614، 588
5	سورة هود	(13)	617، 606

ثانياً: ورد فيها اثنتان وعشرون بيتاً من الشعر.

ثالثاً: أسماء الشعراء الذين ورد ذكرهم في الرسالة: (علقمة الفحل، امرؤ القيس، الحارث اليشكري، ابن ميادة الرماح بن أبرد، عقّال، بشار بن برد، عنتر بن شداد، القطامي، ابن حازم الباهلي، عبد الرحمن بن حسان، البحتري، جرير، الفرزدق، الاعشى، زهير بن ابي سلمى، النابغة، أبو دؤاد الأيادي هو جارية بن الحجاج شاعر جاهلي اثر على نفسه فمات عطشاناً.

رابعاً: رواة وأقوال

التسلسل	الرواة	الأقوال
1	ما رواه محمد بن كعب القرظي ص 583	خالد بن صفوان، كيف تجاربهم 576، 600
2	الوليد بن عتبة (والله إن له كладаة... 585	الجاحظ (ت255هـ) ص 576، 602
3	ابن المغيرة (الوليد بن المغيرة) 581	جرير والفرزدق ص 578
4		قول أبو جهل بن هشام 581
5		عتبة بن ربيعة 583

خامساً: الشخصيات والكنى التي وردت في الرسالة:

- 1- الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ص 592، 597، 604.
- 2- الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) ص 604.
- 3- الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ص 593.
- 4- الصحابي الجليل: أبو ذر الغفاري ص 584.
- 5- الصحابي الجليل: ابن عباس ص 593.
- 6- ام جندب، امرأة امرؤ القيس ص 591.
- 7- أبا الأسود الدؤلي، ظالم بن عمر بن سفيان ص 592.
- 8- سيبويه ص 583.

سادساً: الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال للنبي

وردت في أربعة مواضع من الرسالة في الصفحات (579، 583، 612، 615).

اتجاهات بلاغية

أ- المنحى التركيبي

هي مجموعة من الأساليب البلاغية صنفها علماء البلاغة على أنها من ضمن علم المعاني وهي قريبة جداً من النحو، وتقع مجملها عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الأعجاز، ومنها عدّ من أساتذة المدرسة الكلامية، وهو الوحيد الذي يكون أستاذاً في المدرسة الأدبية عبر كتابه أسرار البلاغة وأستاذاً في المدرسة الكلامية من خلال كتابه دلائل الأعجاز ومن أهم أساليب هذا العلم واتجاهاته: (الخبر والانشاء والتقديم والتأخير والفصل والوصل والأيجاز والأطناب والمساواة، والقصر)، وسنقف عند مجموعة من الصور التي رصدناها في الرسالة من أقوال الجرجاني.

**التقديم والتأخير:**

التقديم والتأخير خاصية من خصائص اللغة التي يلجأ إليها المتكلم لجعل من كلامه بليغاً واضحاً، ويكون ذلك بتغيير الترتيب الطبيعي لعناصر الجملة الأسمية كانت أو فعلية، فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، وذلك لأغراض بلاغية دلالية تعيننا على التعبير عما في انفسنا فنبلغ بذلك الغاية المطلوبة من ذلك التحول. وجدتُ عبد القاهر الجرجاني كان من المستعملين لهذه الخاصية بكثرة في الجملة الأسمية والجملة الفعلية فأحياناً يقدم الخبر على المبتدأ، وأحياناً يقدم المفعول على الفاعل، وأحياناً المتعلقة بالفعل.

**في الجملة الاسمية:**

تتكون الجملة الاسمية من مسند ومسند إليه يكون الأصل في المسند إليه التقديم بينما المسند التأخير، إلا أن هناك حالات يختل فيها هذا الترتيب المتفق عليه، فيقدم (المسند) الخبر على (المسند إليه) المبتدأ ويكون ذلك لأغراض تلزم على المتكلم التقديم والتأخير في عناصر الجملة الاسمية. يقول ابن جني: "ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ نحو قائم أخوك، وفي الدار صاحبك) (ابن جني، 1983، صفحة 127)، كما أشار إلى ذلك قبله سيبويه في مثال (قائمٌ زيدٌ) ان يكون قائمٌ مبتدأ (وزيد) خبره أو فاعله (سيبويه، 1999، صفحة 382).

وفي الرسالة الشافية كان تقديم الخبر على المبتدأ بارزاً كثيراً ومن أمثلته: "قال هم العرب، وقد روى الشعر، وفيهم الشعراء) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 120) ونجد هنا بشكل واضح جداً تقديم الخبر على المبتدأ في قوله (وفيهم الشعراء) وكان الاجدر الترتيب (الشعراء فيهم) لكن تم التركيز والتقديم والاهمية على شبه الجملة من الجار والمجرور التي هي في محل رفع خبر مقدم، لان دلالتها وبؤرة الكلام حولها وهم (العرب). من هنا تبرز أهمية هذه الخاصية واثارها الصوتية والدلالية. كذلك قول الجرجاني: (لهم دياسة، ولهم دين ونخلة) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 122). الأهم هو كما إسلفنا القول في أهمية تقديم الخبر على المبتدأ، وهو شبه الجملة من الجار والمجرور على المبتدأ (دياسة) (دين ونخلة). كما يمكن ملاحظة تقديم خبر النواسخ على اسمها كما في تقديم خبر كان واخواتها وإن واخواتها على اسميهما: (اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخص وأولى) (الجرجاني، 1992، صفحة 575). وقعاً نجد ان تقديم خبر إن على اسمها هنا جاء المعنى لإفادة التعميم لوجود أداة العموم والمعنى المطلق (كل). كذلك رصدتُ قول الجرجاني: (الذي نزل فيه الوحي، وكان فيه التَّحدي) (الجرجاني، 1992، صفحة 576). إذ تقدم خبر كان على اسمها بيد أن المعنى هنا جاء للقصر، أي أنه قصر التحدي فيه. أيضاً قول الجرجاني: (وإن قالوا فإن ههنا أمراً آخر) (الجرجاني، 1992، صفحة 587). اقتضت الضرورة في تقديم خبر إن على اسمها وفي ذلك جاء المعنى للتنبيه والتركيز على ذلك.

**في الجملة الفعلية:**

من المعلوم أن الجملة الفعلية هي التي نبدأ فيها بالفعل ثم يأتي الفاعل وهو الذي قام بالفعل، ثم يأتي المفعول به الذي وقع عليه الفعل، وهذا في حالة، ما كان الفعل متعدياً، بينما اذا كان لازماً لا يحتاج إلا لفاعله، لكن الامر الغالب هو أن الجملة الفعلية تتكون من فعل وفاعل ومفعول به، وهذا الترتيب المتفق عليه للجملة الفعلية، غير أن هذا الترتيب يختل أحياناً فيأتي المفعول به متقدماً على الفعل والفاعل معاً، ولا يكون هذا الترتيب الا وفق قواعد نحوية والأهم من ذلك لتحقيق أغراض بلاغية لا يوجدتها الترتيب الطبيعي فيلجأ إليها المتكلم والكاتب وغيرهما. ومن ذلك ما ورد في الرسالة الشافية قول الجرجاني: (فلما سمعها عتبة انصت له، والقى يديه خلف ظهره مُعتمداً عليها يستمع منه) (الجرجاني، 1992، صفحة 584). وهنا نجد تقديم المفعول به الضمير المتصل في (سمعها) أي الخطبة وهي بؤرة الكلام ومحور الحدث الأهم على الفاعل (عتبة) وتعلق الصوت النبر مع الدلالة

والأهمية في تقديم المفعول به أصبح له أثر واقع عند المتلقي. كذلك من متعلقات التي تقدمت على المفعول به (فبنا أن ننظر في دلائل احوالهم وأقوالهم حين تُلي عليهم القرآن وتُحذوا إليه) (الجرجاني، 1992، صفحة 577). وهنا يظهر بشكل جلي تقديم المتعلق (عليهم) على نائب الفاعل (القرآن) أيضاً من صور التقديم والتأخير. (فعمد إليها عامدً فشقها عنها) (الجرجاني، 1992، صفحة 603) إن التلاعب بترتيب عناصر التركيب اللغوي من خلال التقديم والتأخير ما هو إلا وسيلة لتحقيق غرض بلاغي ذي أبعاد جمالية ولا يتم ذلك بطريقة عشوائية وإنما يجري وفق مقتضيات جمالية تتطلبها لغة العمل الأدبي، وأن تحريك أجزاء الجملة عن مواقعها الأصلية ليس منطوق وإنما يظل محصوراً في مناطق نحوية معينة.

اما قول الجرجاني في الرسالة: (وأن الأمر قد بلغ غايته، وأن لم يبق للطالب مطلب) (الجرجاني، 1992، صفحة 604). واضح إن سياق الجملة قبل التقديم والتأخير هو: وأن لم يبق مطلب للطالب". لكن غرض بلاغي مؤثر جعل نمط وسياق الجملة يكون على ما جاء به الجرجاني من تقديم وتأخير للاهتمام.

### الفصل والوصل

ظاهرة تحتاج الى دقة وتركيز لا يفهما إلا من علم بكلام العرب وهي تعتمد نظاماً ما ليحقق الترابط بين الجمل مما يزيد ترتيباً من خلال صورها وتراكيبها.

الوصل: من ذلك ما ورد في الرسالة الشافية: إن الوليد بن عتبة أتى النبي الاكرم وقال له: أقرأ، فقرأ عليه قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل:90]، وهنا نلاحظ إشراك الكلمتين (الاحسان وايتاء) في الحكم الاعرابي، فان الكلمتين معطوفتان بواو العطف على (العدل) ومجرورتان مثلها بالكسرة. وهذا الموضوع هو ما يقال عنه اشتراك الجملتين في الحكم الاعرابي وهناك موضع آخر هو اتفاق الجملتين خبراً وانشاء وكانت بينهما مناسبة وكما ورد في الشافية قول النبي الخاتم (صلى الله عليه وسلم): (وحجتي عليك ان الله تعالى انزل عليّ كتاباً عربياً مبيناً تعرفون الفاظه وتفهمون معانيه) فقد ورد قوله: (تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه) (الجرجاني، 1992، صفحة 579) موضع وصل بين الجملتين وذلك لان الجملتين متفقتان خبراً وانشاء لفظاً ومعنى مع وجود المناسبة المعنوية بينهما.

كذلك الاخبار التي جاءت عن العرب في تعظيم شأن القرآن الكريم قولهم: (إنّ عليه لطلاوة وإنّ له لحلاوة وإن اسفله لمعذق وان أعلاه لمثمر) (الجرجاني، 1992، صفحة 619) نلاحظ اتفاق الجملتين وتشابهما من حيث التركيب والمعنى مع وجود المناسبة المعنوية، فان الجملة الأولى اسمية خبرية والجملة الثانية اسمية خبرية اما الموضوع الثالث وصل حيث تكون الجملة الأولى خبرية تركيباً ومعنى وان تكون الجملة الثانية خبرية في التركيب ولكنها انشائية في المعنى كقول الشاعر:

**وما الشعر إلا شعر قيس وخندفٍ وقول سواهم كلفة وتلمح**

(الجرجاني، 1992، صفحة 599)

فان صدر البيت خبري في التركيب والمعنى وعجزه خبري في التركيب وانشائي في المعنى، مما ادى ذلك الاختلاف إلى الوصل بينهما.

### الفصل:

الموضع الأول كمال الاتصال ويعني وجود اتحاد وتآلف وتشابه في المعنى بين جملتين ويؤدي هذا الاتحاد بالمعنى إلى الفصل بينهما فلا نستخدم الواو. حيث تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى أو بدلاً أو بياناً لها وفي الحالتين الأولى والثانية لم اعثر على شاهد في الرسالة الشافية اما بياناً وجدت ذلك،



**المنحى البياني: الاستعارة**

فيما يتعلق بالمحور البياني هو كيف أفاد عبد القاهر الجرجاني من استعمال الاستعارة في متنه التنظيري نقف على استعماله للاستعارة في ثنايا حديثه عن الإعجاز، فمن ذلك قوله: (وإذا كان الشيء متعلقاً بغيره، ومقيساً على سواه، كان خير ما يستعان به على تقريبه من الإفهام، وتقديره في النفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن جهة ويؤنس به، ويكون زمماً عليه يمسه على المتفهم له والطالب علمه) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 118).

نلاحظ هنا الاستعارة في قوله (زمام) فقد استعار لفظه (زمام) للمثال الذي يوضع للإفهام، فهذه استعارة مكنية الزام استعمل لحيوان كالفرس والبعير فهو شبه الشخص المتحكم فيه لحيوان يقاد بزمام ثم حدق مشبهه (الحيوان) وصرح بلازمة من لوازمه وهو الزمام فاستعارة مكنية، والقرينة المانعة هي أن زمام ويعني الرباط، يستعمل للفرس أو غيره، وقد استعملها هنا للكلام. وفي موضع آخر من الرسالة وفي معرض رده على مسألة تحدي العرب: (فبنا ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدا إليه، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 118) الاستعارة في قوله: (ملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله) هذه استعارة مكنية، فقد استعار لفظ (ملئت) للمسامع، وهي لازم الاستعارة فالمستعار منه الأوعية، وقد دل عليه اللازم، والقرينة المانعة أن المسامع لا تملأ. قوى الاستعارة بلفظ المطالبة فجرد الاستعارة للمستعار له، وهي المسامع، فهي من هذه الزاوية استعارة مجردة، وتكمن قيمة هذه الاستعارة بأنها جعلت المسامع كالأوعية، لتكون أقدر على الاستيعاب. وقوله: (ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلاً على وجه من الوجوه) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 119) نلاحظ الاستعارة في لفظه (انفسهم) مستعار له والانسان مستعار منه اما اللفظ المستعار فهو الحديث، وهذه استعارة مكنية ظهر فيها المستعار له، واختفى المستعار منه ودل عليه لازمة، الحديث. ثم نجد ضرباً أخرى من الاستعارات التي غدى بها عبد القاهر عباراته لتكون اثبت وأؤكد في ذهن القارئ إذ يقول: (إذن لم يبلغوا شأواً ما بلغ ولم يدر لهم من ضرور القول ما در، ولو أن طباعاً لم تشرب من مائهم ولم تغذ بجناهم، ولم يكن حالهم في الاكتساب منهم، والاستعداد من ثمار قرائحهم، وتشتم الذي قاح من روائحهم، حال النحل التي تغذى، بأريج الأنوار وطيب الأزهار، وتملاً أجوافها من تلك اللطائف، ثم تمجها أرباً وتقذفها مادياً) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 118).

نعم لو تفحصنا هذه المقطوعة لوجدناها مليئة بالاستعارات، فمن ذلك: لم يدر لهم من ضرور القول ما در، فالاستعارة في عبارة (ضرور القول)، وعلى النحو الآتي: القول: مستعار له، والدابة التي لها ضرور: مستعار منه، اللفظ المستعار: الضرور (لازم المستعار منه)، القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي والتي دلت على الاستعارة أن الضرور للدابة وليس للكلام. اما الجامع بين الطرفين هو ما يستفد منه الانسان من الكلام واللبن، اما الاستعارة الأخرى في النص فهي في قوله: (ولو أن طباعاً لم تشرب من مائهم، ولم تغذ بجناهم) الاستعارة في الطباع فهي مستعار له والانسان المستعار منه، اما اللفظ المستعار الشرب (لازم المستعار منه)، حيث إن القرينة هي الطباع لا تشرب، وإنما الشرب للإنسان، وهنا أقول: قوى هاتين الاستعارتين بتشبيهه هو اقرب لك للاستعارة التمثيلية، وذلك بقوله: ولم يكن حالهم في الاكتساب منهم، والاستعداد من ثمار قرائحهم وتشتم الذي قاح من روائحهم، حال النحل التي تغذي بأريج الأنوار وطيب الأزهار، وتملاً أجوافها من تلك اللطائف، ثم تمجها أرباً وتقذفها مادياً) (الرماني، الخطابي، و الجرجاني، 2023، صفحة 137)).

فاستعارة صورة النحل لصورة الأحوال التي عليها الاكتساب من القول.

### الالتفات:

هو التحول في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر، أي نقل الكلام من أسلوب إلى آخر من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الواحد إلى الجماعة ومن الخطاب إلى المتكلم وبالعكس وكذلك من الماضي إلى الحاضر وهكذا. ورصدنا هذا الظاهرة بكثرة في الرسالة الشافية منها: (فقلت: فما يقولون الناس؟ قال: يقولون شاعر، ساحر، كاهن) (الجرجاني، 1992، صفحة 584) في النص التفاوت من الماضي (قلت) إلى المضارع يقولون، وايضاً يمكن أن نقول التفات من الغائب إلى المخاطب وفيها التفات من الكل إلى الجزء وكذلك في موضع آخر (والله انه لصادق وانهم لكذابون) (الجرجاني، 1992، صفحة 584) وهنا الالتفات من المفرد إلى الجمع.

اما قول امرؤ القيس

فقل وأنعت فرسك وناقتك وأقول أنت فرسي وناقتي

(الجرجاني، 1992، صفحة 591)

في القول أعلاه التفات من الغائب إلى المخاطب، وفيه التفات من فعل الماضي إلى فعل الأمر وكذلك فيها التفات من الأمر إلى الماضي.

ايضاً من شواهد الالتفات في الرسالة: (فقال علقمة: أني فاعل، والحكم بيني وبينك المرأة من ورائك) (الجرجاني، 1992، صفحة 591).

وهنا في قول علقمة التفات من الغائب إلى المتكلم.

وفي الالتفات من صيغ الجمع إلى المفرد نجد ذلك في (وقالوا: كان الأوائل لا يفضلون على زهير احداً في الشعر ويقولون قد ظلمه حقه من جعله كالنابغة) (الجرجاني، 1992، صفحة 593).

### الاعتراض:

الجملة المعارضة تحدث جدلية محببة ومنقولة ففي حين تفصل بين اركان الجملتين المتماسكتين المتلازمتين من جهة فهي موضع تقوية وطاقة لكلام فضلاً عما تحدثه عن تماسك وشدّ ستيح فرصة للمتبعي من تعمق المعنى دلاليّاً ولها أغراض كثيرة ذكرها علماء البيان منها

(الغلاييني، 1993، صفحة 287)

الدعاء ورصدنا ذلك في الشافية (وإنه لا يجوز أن يدعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي صلى الله عليه وسلم) الذي نزل في الوحي وكان فيه التحدي (الجرجاني، 1992، صفحة 576) وقد اعترضت جملة صلى الله عليه وسلم وخرجت لدعاء حسن في موضعه.

ومثال آخر فيه تنزيه:

(ونحن ابقاك الله اذا ادعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ومن المنثور والاسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فمعناه - على ان ذلك لهم - شاهد صادق من الديباجة الكريمة) (الغلاييني، 1993، صفحة 583) وقد اعترضت جملة "على ان ذلك لهم". وخرج معناها لتنزيه. اما في المثال (ومنهم ما رواه محمد بن كعب القرظي قال: حدثت ان عتبة بن ربيعة - وكان سيداً حليماً - قال يوماً إلا أقوم إلى محمد فأكلمه) (الغلاييني، 1993، صفحة 576) وقد اعترضت جملة - وكان سيداً حليماً - وخرج الاعتراض هنا في هذه الجملة للتعظيم.

اما في قوله: (لقد كانت عندي - حين ادعى ما ادعى - بينة على فساد دعواه وعلى كذب شهود، قد تركتها تهاوناً بأمره، أو انسيته، أو منع مانع دون عرضها وها هي هذه قد جنتكم بها، فانظروا فيها لتعلموا أنكم قد غررتم) (الغلاييني، 1993، صفحة 580).

وهنا قد اعترضت جملة - حين ادعى ما ادعى - اعترضت جملة بين جملتين وكان الغرض منها التنبيه.

### المنحى البديعي

إن علم البديع من العلوم البلاغية التي يُعرف بها (وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطالبة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة) (القيرواني (739هـ)، د.ت، صفحة 477) وهو قسمان المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية أما المعنوية سنقف عند الطباق والمشكلة في الرسالة الشافية واللفظية نتناول الجنس ورد الصدر على العجز، ومما لا شك فيه أن المحسنات بمجملها كثيرة لكن اخترت هذه من بين تلك بعد قراءة وتفحص دقيق للرسالة وما الذي يهيم أكثر.

**الطباق:** وصور كثيرة إذ نجد الجرجاني يقول: (لا فقد علمنا الحجج والبراهين، والحكم والأدب والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والوصف والتشبيه، والامثال، وذكر الأمم والقرون واقتصاص أحوالهم، والنبا عما جرى بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام، وما لا يحصى ولا يعد) (الجرجاني، 1992، صفحة 608). فقد وظف الجرجاني الطباق بين (الترغيب - الترهيب)، (الوعد - الوعيد) لتأتي هذه الثنائيات الضدية في سبيل الايضاح والإجمال التي جاءت بها لغة الجرجاني، فضلاً عن دلالة الطباق في هذه الصورة أحدث صوت مؤثراً، ليأخذ مساحة استماع عند المتلقي.

كذلك الطباق في قوله: (فإنه لن تتسع المعاني حتى تتسع الألفاظ، ولن تقع موقها المؤثرة حتى يحس النظم. وإذا كان كذلك فموضعنا منه بحاله. ثم ليس بفكر ولا مجهول أن يكون لفظ الشاعر ونظمه إذا تعاطى المدح أحسن وأفضل منها إذ هو هجاء أو نسب) (الجرجاني، 1992، صفحة 608) والطاق الذي وظفه الجرجاني في القول (الألفاظ، المعاني) (المدح - الهجاء) جاء ليوضح الفكرة التي طرحها حول الإجابة والحسن. وكذلك نجده يوظف الطباق في قوله: (وأن يكون قد ضاق عليهم في الجملة مجال قد كان يتسع لهم، ونضبت عنهم مواد قد كانت تغزر، وخذلتهم قوى قد كانوا يصلولون بها) (الجرجاني، 1992، صفحة 611). فالطاق يكون هنا في توظيف اللفظين (يتسع - ضاق) (نضبت - تغزر) هذا التوظيف للطباق لم يكن بغرض إضافة الإيقاع للجمل التي جاء بها بقدر ما كان الغرض منه تركيز المعنى في ذهن السامع من خلال المقابلات وتوظيف الأضداد.

**المشكلة:** وكذلك يوظف المشكلة في وصفه للقول أو في تقرير القول الذي جاءت به العرب في مجال الشك في إعجاز القرآن فهو يقول: "ثم إنه قول إذ نقر عنه أنكشف عن أمر منكر، وهو اخراج ان يكون وحياً من الله، وان يكون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد تلقاه عن جبريل عليه السلام والذهاب إلى أن يكون قد كان على سبيل الإلهام" (الجرجاني، 1992، صفحة 625). فقد وظف لفظتي (كان - يكون) في سبيل المشابهة والمشكلة التي تضفي إيقاعاً نغمياً من خلال التكرار، وكذلك نلمح المشكلة عنده في قوله: (وأن لست تملك من أمرك شيئاً حتى تظفر بمن له طبع إذا قدمته وري، وقلب إذا ارتيه رأي) (الجرجاني، 1992، صفحة 626). والمشكلة هنا تظهر من خلال توظيف اللفظتين (أديته - رأي) فهما لفظتان متشابهتان ترجعان إلى جذر لغوي واحد ولكنهما تختلفان في التصريف النحوي.

الجناس: هو أول المحسنات اللفظية، ويعرف عند علماء البلاغة بالتجانس أو التجنيس، أو المجانسة (العلوي، 2002، صفحة 355/2). وسمي جناساً لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد، ومادة واحدة، ويعرف باتفاق علماء البلاغة ان تجيء الكلمة تجانس أخرى في بين شعر أو كلام ومجانستها لها، أن تشبهها في تأليف حروفها وتختلف في معانيها (العسكري، د.ت، صفحة 308). ويعد الجناس أحد المحسنات البديعية التي استعان بها الجرجاني للبيان عن المعنى ابانته، ويظهر ذلك في قوله: (إذا كان كذلك، كان بيناً على غير اساس، ورمى من غير مرمى، لأنه قياس ما امتنعت فيه المعارضة من جهة وفي شيء مخصوص على ما امتنعت معارضته من الجهات كلها وفي الأشياء اجمعها)

(الجرجاني، 1992، صفحة 605). فالجناس في قوله (بيناً، بناء) يضيف على النص نغمة ايقاعية تمتاز بمعنى البيان والتوضيح من خلال تكرار الاحرف في الكلمات الذي يضيف عليها جرساً موسيقياً ابداعياً. وكذلك يوظف الجرجاني الجناس في قوله: (وهكذا القول في الفصول التي ذكروا أنه لم يجد أمثالها في معانيها، لأنها لا تستمر ولا تكثر، ولكنك تجدها كالفصوص الثمينة والوسائط النفيسة وأفراد الجواهر، تعد كثيراً حتى ترى واحداً) (الجرجاني، 1992، صفحة 609). فالجناس هنا يظهر في قول الجرجاني (الفصول - الفصوص) الذي أعطى النص جرساً موسيقياً فقد بين الشيخ كلماته بناءً فنياً قائماً على أيسال المعنى بطريقة ابداعية. وكذلك قوله: (وأن تكون أشعارهم التي قالوها، والخطب التي قاموا بها، وكل كلام احتفلوا فيه، من بعد أن أوحى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتحدا إلى معارضة القرآن قاصرة عما سمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد) (الجرجاني، 1992، صفحة 611) فالجناس في قوله: (قالوها - قاموا بها) يعطي الجملة ايقاعاً لفظياً لا يخلو من المعنى الدلالي القائم على اساس حصر جميع الجهود التي قام بها المناقشون والمجادلون في فكرة اعجاز القرآن وبيان خسرانها.

#### رد العجز على الصدر

وقد وظف الجرجاني في رسالته الشافية حذف ذلك لأن لهذا الأسلوب قيمته الفنية رد العجز على الصدر ليس تكراراً شكلياً لا قيمة فيه وإنما هو وسيلة التقوية المعنى وتوضيحه، فمن خلال التكرار الموجود في الآيات الكريمة تتكون نغمة رنانة كما وقع على النفس، كما أن هذا اللون البديعي لكشف قيمته الفنية والجمالية في كونه يأتي عفو الخاطر ودون تكلف، يدعو إليه المعنى ويقتضيه السياق فلا يغلب عليه التصنع (الرماني، 2002، الصفحات 195-196). وهو يقول: (فأما الذي عليه العلماء من أنه معجز في نفسه، وأنه في نظمه وتأليفه على وصف لا يهتدي الخلق إلى الإتيان بكلام هو في نظمه وتأليفه على ذلك الوصف) (الجرجاني، 1992، صفحة 625). فهو يكرر القول (في نظمه وتأليفه) في بداية المقطع وفي نهايته، هو ضرب من ورد العجز على الصدر وذلك لتأكيد طبعة الاعجاز في كلام القرآن الكريم استحالة الطعن فيه. وهو كذلك يقول: (وتذكروا وصية الحكماء حين نهوا عن الورود حتى يعرف الصدر، وحذروا أن تجيء أعجاز الأمور بغير ما أوهمت الصدور) (الجرجاني، 1992، صفحة 624). فرد العجز على الصدر في كلام الجرجاني يكون من خلال القول (يعرف الصدر - أوهمت الصدور) مرة بالأفراد وأخرى بالجمع. ونجد رد العجز على الصدر في قوله: (إنهم سمعوا منه ما بهرهم وعظم في نفوسهم، وانهم كانوا على حال أنسوا انفسهم بأنهم يأتون بمثله إن هم اجتهدوا) (الجرجاني، 1992، صفحة 620). فقد أخذ الجرجاني بسبك كلماته من خلال عملية التكرير القائمة على رد العجز على الصدر في الكلمات (نفوسهم، أنفسهم) فقد بدأ المقطع بالكلمة (نفوسهم) ثم كررها بصيغة (أنفسهم) وذلك لدلالة على ترسيخ هذا الأمر في أنفسهم.

#### الخاتمة

بعد هذه الرحلة في صفحات الرسالة الشافية والتركيز على المنحى البلاغي فيها وجدت ان الاتجاه التركيبي هو الأكثر حضوراً وتميزاً فيها، واستطيع القول لا خير في ذلك ولا جديد لان الجرجاني بدأ أولاً نحوياً وتلمذ على يد عالم نحوي وكان معجباً بعالم نحوي ولان علم المعاني قريب جداً من النحو فكان ما رصدناه في الرسالة الشافية اكثر من الاتجاهين البياني والبديعي، عند البيان ظهر مقدرة الرجل وتعامله مع سعة الخيال ورسم الصور الفنية المؤثرة، اما عند العزف البديعي كان قد ضبط أوتار كلامته ومنح نصوصه حيوية واقناع، بجرعات هنا وهناك.

### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم  
ابن جني. (1983). الخصائص (المجلد 3). بيروت: دار الكتب.  
ابن منظور الأنصاري (ت711هـ). (2011). لسان العرب (المجلد 1). (أحمد شاکر الكيلاني، و حسن عادل النعيمي، المحررون) مركز الشرق الأوسط الثقافي.  
ابو نواس محمد. (2006). الاعجاز البلاغي (المجلد 3). القاهرة، مصر: مكتبة وهبة.  
ابو هلا العسكري. (د.ت). كتاب الصناعتين (المجلد 2). (علي محمد بجاوي، و ابو الفضل ابراهيم، المحررون) دار الفكر العربي.  
الأمام جار الله فخرخوارزم محمود بن عمر الزمخشري. (2009). اساس البلاغة. (محمد أحمد قاسم، المحرر) بيروت، لبنان: شركة ابناء شريف الانصاري.  
الرماني، ز. ب. (2002). قطوف من الأدب والبلاغة (Vol. 1) (الاولى). (دار طويق للنشر والتوزيع.  
الرماني، الخطابي، و عبد القاهر الجرجاني. (2023). ثلاث رسائل في اعجاز القرآن (المجلد الحادية عشر). (محمد خلف أحمد، و محمد زغلول سلام، المحررون) القاهرة، مصر: دار المعارف.  
العلوي. (2002). الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز. (عبد الحميد هنداوي، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.  
القيرواني (739هـ)، ا. د.ت. (الايضاح في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية.  
بولاق سيبويه. (1999). الكتاب. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة.  
حويث، ع. ا. (1972). تطوير دراسات اعجاز القرآن واثرها في البلاغة العربية. بغداد: مطبعة الأمة.  
عبد القاهر الجرجاني. (1992). دلائل الاعجاز الرسالة الشافية (المجلد الثالثة). (محمود محمد شاکر، المحرر) شركة القدس للنشر والتوزيع.  
مصطفى الغلاييني. (1993). جامع الدروس العربية. بيروت، لبنان: دار الفكر.

## Sources and References

### The Holy Qur'an

- Ibn Jinni. (1983). Al-Khasa'is (Vol. 3). Beirut: Dar al-Kutub.
- Ibn Manzur al-Ansari (d. 711 AH). (2011). Lisan al-'Arab (Vol. 1). (Editors: Ahmad Shakir al-Kilani and Hassan Adel al-Nuaimi). Middle East Cultural Center.
- Abu Nuwas Muhammad. (2006). Al-I'jaz al-Balaghi (Vol. 3). Cairo, Egypt: Wahba Library.
- Abu Hala al-'Askari. (n.d.). Kitab al-Sina'atayn (Vol. 2). (Editors: Ali Muhammad Bajawi and Abu al-Fadl Ibrahim). Dar al-Fikr al-'Arabi.
- Imam Jar Allah Fakhr Khwarazm Mahmud ibn Umar al-Zamakhshari. (2009). Asas al-Balaghah. (Editor: Muhammad Ahmad Qasim). Beirut, Lebanon: Sharif al-Ansari Sons Company.
- Al-Rumani, Z. B. (2002). Qutuf min al-Adab wa al-Balagha (Vol. 1). Dar Tuwaiq for Publishing and Distribution. Al-Rummani, Al-Khattabi, and Abd al-Qahir al-Jurjani. (2023). Three Treatises on the Inimitability of the Qur'an (Vol. Eleven). (Muhammad Khalaf Ahmad and Muhammad Zaghloul Salam, eds.) Cairo, Egypt: Dar al-Ma'arif.
- Al-Alawi. (2002). The Style Containing the Secrets of Rhetoric and the Sciences of the Realities of Inimitability. (Abd al-Hamid Hindawi, ed.) Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyyah.
- Al-Qayrawani (d. 739 AH), A. (n.d.). Al-Idah fi 'Ulum al-Balaghah (Clarification in the Sciences of Rhetoric). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Bulaq, Sibawayh. (1999). Al-Kitab (The Book). (Abd al-Salam Muhammad Harun, ed.) Cairo.
- Huwaith, A. A. (1972). Developing Studies on the Inimitability of the Qur'an and Their Impact on Arabic Rhetoric. Baghdad: Matba'at al-'Ummah.
- Abd al-Qahir al-Jurjani. (1992). Dala'il al-I'jaz: Al-Risalah al-Shafiyah (Vol. Three). (Mahmoud Muhammad Shakir, ed.) Al-Quds Publishing and Distribution Company.
- Mustafa al-Ghalayini. (1993). Comprehensive Collection of Arabic Lessons. Beirut, Lebanon: Dar Al-Fikr.



## The Rhetorical Approach in Al-Jurjani's Al-Shafiya Epistle

Prof. Dr. Faisal Salman Manahi

Al-Mustansiriyah University – College of Education –

Department of Arabic Language

[dr.faisal.s@uomustansiriyah.edu.iq](mailto:dr.faisal.s@uomustansiriyah.edu.iq)

07710789095

### Abstract:

This research examines the rhetorical approaches in Abd al-Qahir al-Jurjani's "Al-Risalah al-Shafiyah," in which he explores the sublimity of the Qur'an and its exalted status in eloquence, asserting its enduring miraculous nature. This treatise holds paramount importance in the field of Qur'anic inimitability. It represents a crucial link in al-Jurjani's chain of theoretical works, grounded in the merits of its structure and the rational arguments it employs. It highlights the persuasive power and argumentative logic within the treatise, as well as refuting the Mu'tazilite doctrine of "sarfa" (the doctrine that the Qur'an's inimitability was not established). This research aims to reveal the influential rhetorical approaches and structural foundations of his discourse, enabling him to address human intellects effectively and dispel doubt and uncertainty.

**Keywords:** approach, Al-Shafiyah, rational arguments, sarfa.